﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ [هود: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كشف ما وراء تكذيب الكفرة للنّبيّ الأكرم ﷺ

لمّا كانَ الكُفّارُ يُنازِعونَ رسولَ اللّه ﷺ في القرآنِ، وينسبونَهُ إلى الافتراءِ، فَكانوا يُظهِرونَ مِن أنفُسِهم أنَّ رسولَ اللّه مُبطِلٌ، ونَحنُ مُحِقُّونَ، وإنَّما نُبالِغُ في مُنازَعتِهِ لِتحقيقِ الحَقِّ وإبطالِ الباطِلِ، وليسَ لغرضٍ في الحياةِ الدّنيا، كذَّبَهُم في هذه الآيةِ، وبيَّنَ أنَّ غرضَهُم هو حرصُهُم على الحياةِ الدّنيا وزينتِها[1].

وأيضًا لمّا جاءَ في الآياتِ السّابقةِ الحثُّ على الثّباتِ على الإسلامِ والدّخولُ فيه والوعيدُ على التّقاعسِ عنهُ ما مِن حَقِّ السّامعِ أن يُبادِرَ إليه، وكانَ حقُّ المسلمِ الإعراضَ عنِ الدّنيا لسوءِ عاقبتِها، وكانَ أعظمُ الموانعِ لِلمُشركينَ مِنَ التّصديقِ بالقرآنِ استيلاءَ أحوالِ الدّنيا عليهم، جاءَت هذه الآيةُ لبيانِ سببِ التّقاعُسِ والمانعِ مِنَ الرّضوخِ لِلحَقِّ[2].

وأيضًا لمّا أقامَتِ الآياتُ السّابقةُ الحُجَّةَ على أنَّ القرآنَ مِن عندِ اللّه تعالى جاءَت هذه الآيةُ؛ لبيانِ أنَّهم إنْ كانوا طالِبينَ الحَقَّ والفَوزَ فقدِ استَتَبَّ لَهُم ما يَقتَضي تَمَكُّنَ الإسلامِ مِن نُفوسِهِم، وإنْ كانوا إنَّما يَطلُبونَ الكِبرياءَ والسِّيادَةَ في الدُّنيا، ويأنَفونَ مِن أنْ يكونوا تَبَعًا لِغيرِهِم، فَهُم مُريدونَ الدُّنيا، فلذلكَ حُذِّروا مِن أن يَغتَرُّوا بالمَتاعِ العاجِلِ، وأُعلِموا بأنَّ وراءَ ذلكَ العذابَ الدّائِمَ، وأنَّهُم على الباطِلِ[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/327.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/251.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/22.

وأيضًا بَعدَ أنْ قامَتِ الحُجَّةُ القَطعيَّةُ على إعجازِ القرآنِ، وحَقّيَّةِ دعوَةِ الإسلامِ، بما يَقطَعُ ألسِنَةَ المُفتَرينَ، ويُبطِلُ مَعاذيرَهُم، بَيَّنَ لَهُم في هاتينِ الآيتينِ الصّارِفَ النَّفسيَّ لَهُم عَنهُ، وكَونهُ شَرًّا لَهُم لا خَيرًا، وهو أنَّهُ لا حظَّ لَهُم مِن حَياتِهِم إلّا شَهَواتُ الدُّنيا وزينَتُها[1]. ونكاتُ المناسباتِ لا تتزاحمُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَزِينَتَهَا﴾: يدُلُّ لفظُ (زين) على حُسنِ الشَّيءِ وتَحسينِهِ. فالزَّينُ نَقيضُ الشَّينِ، والزّينةُ تحسينُ الشّيءِ ظاهرًا بغيرِهِ مِن لبسةٍ أو حليةٍ أو هيئةٍ، فالزّينةُ زيادةٌ ظاهرةٌ تتعَلَّقُ بظاهرِ الشّيءِ، ومنه زَينُ الدّيكِ عرفُهُ، وزينةُ الأرضِ النّباتُ، ثمَّ عُمِّمَ اللَّفظُ في كلِّ ما يُستَحلَى، ومعنى ﴿وَزِينَتَهَا﴾ الزّينةُ الدّنيويّةُ مِنَ المالِ والقصورِ والقوّةِ والجاهِ وغيرِها[2].

2) ﴿نُوَفِّ﴾: الوافي: الّذي بلغَ التّمامَ والإكمالَ، ويدورُ المعنى المحوريُّ للكلمةِ على نموٍّ أو زيادةٍ يبلغُ بها الشّيءُ تمامَ قوامِهِ، ويُقالُ: كيلٌ وافٍ؛ أي: تمَّ، ومنه: أوفَيتُ الكيلَ والوزنَ بمعنى مَلَأْتُهُ إلى التّمامِ، وتَوَفَّيتُ الشَّيءَ واستَوفَيتُهُ إذا أخَذتَهُ كُلَّهُ حتَّى لم تَترُكْ مِنهُ شيئًا، ومعنى ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ في الآيةِ نُؤتِهِم ثوابَ أعمالِهِم فيها كاملًا[3].

3) ﴿يُبْخَسُونَ﴾: البخسُ هو النّقصُ القليلُ الطّفيفُ على سبيلِ الظّلمِ، ومنه: بَخسُ الكيلِ والميزانِ: نقصُهُ، وثَمَنٌ بَخْسٌ؛ أي: ناقصٌ، ومعنى ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا يُنقَصونَ شيئًا مِن جَزائِهِمُ الدُّنيَويِّ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَنْ كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنيا ومَتاعَها بما يعملُ مِن أعمالِ الخيرِ والإحسانِ نُوصِّلُ إليهِم

(1) رضا، تفسير المنار: 12/41.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (زين).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وفى)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 202.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بخس)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 202.

جزاءَ أعمالِهم في الدّنيا مِنَ الصّحّةِ والرّئاسةِ وسعةِ الرّزقِ وكثرةِ الأولادِ، وهُم فيها لا يُنْقَصونَ شيئًا مِن أجورِهم[1].

مَن أحسنَ القيامَ بالأسبابِ أعطَتهُ، بسننِ اللهِ في الكونِ، ما يرتجيهِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الشّرطِ بـ ﴿مَن﴾:

أفادَ لفظُ ﴿مَن﴾ العمومَ؛ ليتناولَ كلَّ مَن يريدُ زينةَ الحياةِ الدّنيا، ولمّا كانَ السّياقُ في بيانِ أوصافِ الكافرينَ وأحوالِهم دخلَ فيه عمومُ الكافرينَ ومنافقيهم دخولًا أوّليًّا، ويؤيّدُه حصرُهُم في الآيةِ التّاليةِ في الكينونةِ في النّارِ، في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾، ولمجيءِ الآيةِ على طريقِ الاستئنافِ يدخلُ أهلُ الرّياءِ في الطّاعاتِ في لفظِ العمومِ، ويكونُ المرادُ مِن سَوقِها التّغليظَ في الوعيدِ للمُرائين، فيحملُ كلُّ فريقٍ منها ما يقتضيه الوصفُ والجزاءُ، ويكونُ معنى الحصرِ في الآيةِ التّاليةِ في حَقِّ المُرائينَ: ليسَ يجبُ لَهُم، ولا يَحِقُّ لَهُم إلّا النّارُ، فإنْ عفا اللهُ عنهم فبفضلِهِ ورحمتِه[2].

الكافرونَ والمنافقونَ أكثرُ النّاسِ حرصًا على الحياةِ الدّنيا، وزينتِها الفانيةِ

دلالةُ التّركيبِ: ﴿كَانَ يُرِيدُ﴾:

أفادَ هذا التّركيبُ استمرارَ إرادتِهم الحياةَ الدّنيا وزينتَها وتجدُّدَها منهُم، وكأنَّه ليسَ لَهُم شأنٌ سوى فيما وصفَهُم بهِ، فإدخالُ ﴿كَانَ﴾ على الفعلِ ﴿يُرِيدُ﴾ دلَّ على استمرارِ إرادتِها منهُم، بحيثُ لا يكادونَ يريدونَ الآخرةَ أصلًا[3].

إفادةُ تركيبِ (كانَ يفعلُ) استمرارَ الفعلِ والمداومةَ عليه

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿يُرِيدُ﴾:

عُبِّرَ بلفظِ ﴿يُرِيدُ﴾ للإشعارِ بأنَّ المرادَ مَنْ سعى إلى الحياةِ الدّنيا، مُتوجِّهًا إليها، قاصدًا إيّاها، ومَن توجَّهَ إلى أمرٍ مالَ عن

مَن توجَّهَ إلى الحياةِ الدّنيا قاصدًا إيّاها مالَ عنِ الآخرةِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/262، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/130.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/156، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/328، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/362، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/132.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/193.

مقابلِه، فلمّا كانَتِ الآخرةُ في مُقابلِ الحياةِ الدّنيا كانَ المعنى: مَن كانَ يريدُ الحياةَ الدّنيا، بحيث يكونُ مُتوجِّهًا إليها، راغبًا فيها، مَائِلًا عن إرادةِ الآخرةِ.

بلاغةُ تقييدِ فعلِ الشّرطِ في مَقامِ الخطابِ:

المذمومُ هو إرادةُ الحياةِ الدّنيا فقط، وتركُ إرادةِ الآخرةِ

لمّا جاءَ فعلُ الشّرطِ في المقامِ الخطابيِّ لا البرهانيِّ أفادَ اقتِصارَ الفاعِلِ على ذلكَ الفعلِ، فالمعنَى: مَن كانَ يُريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها فقط؛ أي: تكونُ إرادتُهُ مقصورةً على حُبِّ الدّنيا وزينتِها، بِقَرينَةِ قَولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾، إذ حُصِرَ أمرُهُم في استِحقاقِ النّارِ، وهو مَعنَى الخُلودِ[1].

نكتةُ ذكرِ: ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ﴾:

الحياةُ الدّنيا زخرفٌ زائِلٌ، لا يدومُ بها الحالُ

لم يقُلْ: (مَن كانَ يريدُ الدّنيا)؛ للإشارةِ إلى أنَّهم يريدونَ التَّمتُّعَ في الحياةِ الدّنيا، كما أنَّ عطفَ ﴿وَزِينَتَهَا﴾ يقتضي ذكرَ الحياةِ؛ لِعودِ الضّميرِ في ﴿وَزِينَتَهَا﴾ إلى ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ﴾.

مناسبةُ العطفِ في: ﴿وَزِينَتَهَا﴾:

تحذيرُ المسلمينَ مِنَ الركونِ إلى الدّنيا وزينتِها، وتركِ العملِ للآخرةِ ونعيمِها

عَطفُ ﴿وَزِينَتَهَا﴾ على ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ يفيدُ أنَّ إرادةَ الحياةِ الدّنيا بطولِ العمرِ والتَّعلُّقَ بالحياةِ غيرُ إرادةِ زينتِها والتَّعلُّقِ بها، فهما أمران مُتغايران، وأنَّ المعطوفَ عليه سببٌ لحصولِ المعطوفِ، وفي العطفِ إشعارٌ بأنَّ ما كانوا يَختلقونَهُ مِن افتراءِ القرآنِ إنّما كانَ بسببِ إرادتِهم الحياةَ الدّنيا وزينتَها وتعلُّقِهم بها، كما أنَّه لمّا جاءَ في سياقِ الآياتِ طلبُهُم أن يُنزَّلَ إلى رسولِ اللّه كنزٌ دلَّ على تعظيمِهم للمالِ الّذي هو مِن زينةِ الحياةِ الدّنيا ورغبتِهم فيه، وأفادَ العطفُ تقريرَ أنَّ المرادَ مِن إرادةِ الحياةِ الدّنيا هو التَّمَتُّعُ بلَذّاتِها وطَيِّباتِها، والانتفاعُ بخَيراتِها وشَهَواتِها، والرّكونُ إليها،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/327، وابن عادل، اللّباب: 10/451، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/23.

وفيه تحذيرٌ لِلمسلمينَ مِن إرادتِهم لها على جهةِ الاقتصارِ عليها، وتوجُّهِ قصدِهم إليها.

فائدةُ الإضافةِ في: ﴿وَزِينَتَهَا﴾:

لمّا أضافَ الزّينةَ إلى الضّميرِ العائدِ إلى الحياةِ الدّنيا، وكانَتِ الإضافةُ على معنى التّخصيصِ، دلَّ على أنَّ الزّينةَ المذمومةَ هنا هي المخصَّصةُ بالحياةِ الدّنيا على معنى توجُّهِ الإنسانِ إليها وتعلُّقِهِ بها فقط دونَ الآخرةِ.

الزّينةُ المذمومةُ هي المخصَّصةُ بالدّنيا دونَ الآخرةِ

دلالة التّعبير بالفعلِ المضارعِ ﴿نُوَفِّ﴾ في جزاءِ الشّرطِ:

كانَ الظّاهرُ أن يقولَ: (وفَّينا)؛ لأنَّه لمّا جاءَ فعلُ الشّرطِ ماضيًا ناسبَهُ أن يكونَ فعلُ الجزاءِ ماضيًا كذلكَ[1]، لكنّه قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ فلمّا عَدَلَ إلى المضارعِ دلَّ على أنَّ اللّه تعالى يُوفِّي إليهم أعمالَهُم في الدّنيا شيئًا شيئًا إلى أن يُتمِّمَ جزاءَ أعمالِ برِّهم وإحسانِهم فيها.

مَن يُتقِنْ عملَهُ في الدّنيا يأخُذْ ثمرةَ عملِهِ فيها

فائدةُ التّعبيرِ بصيغةِ ﴿نُوَفِّ﴾:

أشعرَ التّعبيرُ بنونِ العظمةِ أنَّ توفيةَ ثوابِ الأعمالِ بفضلِ اللّه ومنَّتِه، وبما يليقُ بعظمتِهِ سبحانَهُ ومشيئتِهِ، وليسَ واجبًا عليه، فهو المَلِكُ الأعلى.

تعظيمُ شأنِ اللهِ بتوفِيتِهِ سبحانَهُ الكافرَ حقَّهُ في الدّنيا

بلاغةُ التّضمينِ في: ﴿نُوَفِّ﴾:

لمّا كانَ الفعلُ ﴿نُوَفِّ﴾ مُتعدِّيًا إلى مَفعولين كانَ الظّاهرُ أن يقولَ: (نوفِّيهم أعمالَهُم)، ولكنْ عُدِلَ إلى ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ فتعدَّى الفعلُ بـ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لتضمينِ الفعلِ معنى (نُوَصِّلُ أو نُبلِغُ)؛ لِيفيدَ التّعبيرُ بالفعلِ ﴿نُوَفِّ﴾ معنى تمامِ الجزاءِ على أعمالِهِم وإيصالِهِ إليهم، وفيه إشعارٌ بأنَّ ثوابَ أعمالِهم قد يصلُ إليهم، وهُم لا يعلمونَ أنَّ ما يَصلُهُم ممّا يَتمتّعونَ بهِ في الحياةِ الدّنيا هو

مَن أجادَ عملًا في الدّنيا أخذَ حظًّا فيه، سواء أكانَ مُؤمِنًا أم كافرًا

(1) الكرمانيّ، غرائب التّفاسير: 1/499.

جزاءُ أعمالِهم، وهذِهِ التَّوفيَةُ مُتَفاوِتَةٌ، والقَدرُ المُشتَرِكُ فيها بَينَهُم هو خَلُوُّهُم مِن كُلَفِ الإيمانِ ومَصاعِبِ القيامِ بالحَقِّ والصَّبرِ على عِصيانِ الهَوَى، فكأنَّهُ قِيلَ نَترُكُهُم وشَأنَهُم في ذلكَ، وفي هذا المعنى جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: 18]، كما يحتملُ أن يكونَ الفعلُ ﴿نُوَفِّ﴾ قد جاءَ على طريقِ المجازِ بذكرِ التّوفيةِ وإرادةِ الإيصالِ؛ ليكونَ على سبيلِ المجازِ اللّغويِّ، والمآلُ في المعنى واحدٌ[1].

فائدةُ مجيءِ الفعلِ بنونِ الجمعِ ﴿نُوَفِّ﴾:

عُبِّرَ بنونِ الجمعِ للتّعظيمِ؛ بمعنى قدرةِ اللهِ المَلِكِ الأعظمِ على توفيةِ جميعِ ثوابِ أعمالِهم مِن غيرِ أن ينقصَ منها شيءٌ، ومجيءُ فعلِ التّوفيةِ الّذي بمعنى تمامِ الجزاءِ يناسبُ تعظيمَ ما شأنُهُ التّعظيمُ.

توفيةُ جميعِ ثوابِ الكافرينَ تعظيمٌ لشأنِ عدلِ اللهِ

فائدةُ تقديمِ ﴿إِلَيْهِمْ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ على المفعولِ بهِ: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ للإشعارِ باستعجالِ تمامِ التّوفيةِ إليهم قبلَ انقضاءِ آجالِهم.

إتمامُ توفيةِ أعمالِ برِّ الكافرينَ، قبلَ انقضاءِ آجالِهم

بلاغةُ الحذفِ في: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

لمّا كانَتِ الأعمالُ لا تُوفَّى دلَّ على أنَّ المعنى (جزاء أعمالِهم)، فيكونُ مِنَ المجازِ بالحذفِ، أو يكونُ قد ذكرَ الأعمالَ، وأرادَ ثمراتِها على سبيلِ المجازِ المُرسَلِ[2]، وعُبِّرَ بطريقِ المجازِ للإيذانِ بتوفيةِ جزاءِ جميعِ أعمالِهم، وللإشعارِ بأنَّه كأنَّ أعمالَهُم رُدَّت عليهم، ورجعَت إليهم؛ لعدمِ انتفاعِهم منها في الآخرةِ.

مَن عملَ لدارِ الزّوالِ زالَت أعمالُهُ بزوالِها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/384، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/139، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/225، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/24.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/193، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/44، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/225.

بلاغةُ العدولِ إلى الجمعِ في: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

لمّا قالَ في الشّرطِ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ كانَ الكلامُ لِلمُفردِ على سبيلِ العمومِ، ثمَّ عَدَلَ في الجزاءِ، فجاءَ بصيغةِ الجمعِ بإضافةِ الأعمالِ إلى ضميرِ (هُمْ)، ولم يقُلْ: (نوفِّ إليهِ أعمالَهُ)؛ لأنَّه لمّا كانَتِ التّوفيةُ تدلُّ على معنى التّمامِ ناسبَ أنْ يقرنَ بها صيغةَ الجمعِ؛ للإشارةِ إلى أنَّهم جميعًا يوفَّونَ أعمالَهُم، كما أنَّ إضافةَ الأعمالِ إلى الضَّميرِ أفادَت أنَّها الأعمالُ الَّتي عَنَوا بها، وأعَدّوها لِصالِحِهم[1].

توفيةُ جميعِ مَن يريدونَ الحياةَ الدّنيا، ويقتصرونَ عليها، أجورَ أعمالِهم في الدّنيا

دلالةُ ﴿فِيهَا﴾:

لمّا كانتِ التّوفيةُ هنا؛ بمعنى إيصالِ تمامِ أجورِ أعمالِهم، وكانَ الجارُّ والمجرورُ ﴿فِيهَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ في مَوضعِ الحالِ، دلَّ المعنى على أنَّ كُلَّ ما يَستَحِقّونَ فيها مِنَ الثَّوابِ فإنَّهُ يَصِلُ إليهِم حالَ كَونِهِم في دارِ الدُّنيا، وأفادَ بطريقِ اللّازمِ أنَّهم إذا خَرَجوا مِنَ الدُّنيا لَم يَبقَ مَعَهُم مِن تِلكَ الأعمالِ أثرٌ مِن آثارِ الخَيراتِ، ويلزمُ منه أنْ لَيسَ لَهُم مِنها إلّا النّارُ[2]، فكأنَّ مجيءَ الجارِّ والمجرورِ حالًا، أفادَ التّكنيةَ بالتّوفيةِ على حصرِ كينونتِهِم في النّارِ، ويكونُ قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ كالتّصريحِ بعدَ التّلويحِ زيادةً في التّبكيتِ.

متعةُ الدّنيا ليسَت دليلًا على متعةِ الآخرةِ

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾:

تحتملُ الواوُ أن تكونَ حاليَّةً[3]؛ بمعنى: نوفِّ إليهِم جزاءَ أعمالِهِم في حالِ هُم في الحياةِ الدّنيا لا يُبخسونَ هذا الجزاءَ، ولو كانَ شيئًا طفيفًا قليلًا؛ ليكونَ الحالُ على معنى تأكيدِ التّوفيةِ وتقريرِها، وتحتملُ الواوُ أن تكونَ عاطفةً لهذهِ الجملةِ الاسميّةِ على جملةِ ﴿نُوَفِّ

الكُفرُ لا يَمنَعُ مِن نِعمَةِ اللَّهِ؛ لأنّه تعالى يرزقُ المؤمنَ والكافرَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/24.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/328.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/326.

﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾؛ لتفيدَ الجملةُ معنىً آخر مُغايرًا لتوفيةِ جزاءِ أعمالِهم، وهو إفادةُ أنَّهم لا يُجازَونَ على كُفرِهم بِجَزاءِ سَلبِ بَعضِ النِّعَمِ عنهُم بَل يُترَكونَ وشَأنَهُم استِدراجًا لهُم وإمهالًا، فالكُفرُ لا يَمنَعُ مِن نِعمَةِ اللّه، فتكونُ الجملةُ المعطوفةُ كالتَّكمِلَةِ لِمعنى جملَةِ: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾[1].

بلاغةُ الاحتراسِ بتكرارِ ﴿فِيهَا﴾:

تأكيدُ توفيةِ ثوابِ أعمالِ الكفّارِ في الحياةِ الدّنيا

قولُهُ: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾، وفيه لمّا كانَ الظّاهرُ أنّ الضّميرَ في الجارِّ والمجرورِ يعودُ إلى الحياةِ الدّنيا كانَ على سبيلِ التّكرارِ، وفائدتُهُ بيانُ أنَّ عدمَ البخسِ ليسَ إلّا في الدّنيا، فلو لم يذكرْ ﴿فِيهَا﴾ لَتوهَّمَ أنَّ عدمَ البخسِ مُطلَقٌ في الدّنيا والآخرةِ، كما أفادَ التّكرارُ تأكيدَ توفيةِ ثوابِ أعمالِهم في الحياةِ الدّنيا، والإعلامَ بأنَّ الآخرةَ لَيسَت كالدُّنيا في وَفاءِ كَيلِ الجَزاءِ وفي بَخسِهِ[2].

دلالةُ النفي وصيغة المضارع في ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾:

اللّهُ عدلٌ لا يبخسُ النّاسَ شيئًا

تفيدُ ﴿لَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ استمرارَ نفي البخسِ المقيَّدِ، بكونِهِ في الحياةِ الدّنيا.

وللإشعارِ بأنَّ نفيَ بخسِ جزاءِ أعمالِهم يكونُ شيئًا فشيئًا، كما هو ظاهرٌ في الحياةِ الدّنيا، فليسَ مِن ديدنِ العدلِ الإلهيِّ بخسٌ ولا تطفيفٌ.

نكتةُ التّعبيرِ بصيغة ﴿يُبْخَسُونَ﴾:

تجلّي العدلِ الإلهيِّ للكافرينَ في انتفاءِ بخسِ أعمالِهم

عُبِّرَ بالبخسِ الّذي هو نقصُ الحقِّ، مع أنَّه ليسَ لَهُم شائبةُ حقٍّ فيما أُوتوهُ، كما عُبِّرَ عن إعطائِهِ بالتَّوفيةِ الّتي هي إعطاءُ الحقوقِ، مع أنَّ أعمالَهُم بمعزلٍ عن كونِها مُستَوجَبَةً لِذلِكَ؛ بناءً لِلأمرِ على ظاهرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/22.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/225، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/41.

الحالِ، ومُحافَظةً على صورِ الأعمالِ، ومُبالَغةً في نفيِ النَّقصِ، كأنَّ ذلكَ نقصٌ لِحقوقِهم، فلا يَدخُلُ تحتَ الوقوعِ والصّدورِ عنِ الكريمِ أصلًا، والمعنى: أنَّهُم في الحياةِ الدّنيا خاصّةً لا يُنقَصونَ ثَمَراتِ أعمالِهم وأُجورَها نَقصًا كُلِّيًّا مُطَّرِدًا، ولا يُحرَمونَها حِرمانًا كُلِّيًّا، وأمّا في الآخرةِ فَهُم في الحِرمانِ المُطلَقِ واليأسِ المُحَقَّقِ[1]، فالأمرُ على جهةِ المقابلةِ والمقايسةِ بينَ حالِهم في الحياةِ الدّنيا والآخرةِ.

فائدةُ مجيءِ الخبرِ جملةً فعليَّةً:

المرادُ هنا انتفاءُ نقصِ الأعمالِ عندَ السّامِعينَ للخطابِ

أفادَ مجيءُ خبرِ المبتدأ ﴿وَهُمْ﴾ جملةً فعليَّةً في قولِه: ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ تقويةَ الحكمِ وتقريرَهُ بنفسِ التّركيبِ، والمرادُ تحقيقُ انتفاءِ نقصِ جزاءِ أعمالِهم عندَ السّامِعينَ، وليسَ المرادُ تخصيصَ انتفاءِ نقصِ الجزاءِ بهِم[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/193.
(2) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 221.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»